

قراءة نقدية في الأنساق المضمره لرواية ساقذف نفسي أمامك لديهيية لويز: بين السرد والرمزية
A Critical Reading of the Implicit Systems in Dihya Louiz's Novel "I Will Throw Myself in Front of You": Between Narrative and Symbolism

ط. د آية ساعد¹، أ.د: حياة جابي²

Aya Saad¹, Prof :Hayet Djabi²

1مخبر المتأقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين -سطيف2 - (الجزائر)،

ay.saad@univ-setif2.dz

2 جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2 (الجزائر)، h.djabi@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2024/12/04

تاريخ الاستلام: 2024/09/24

المخلص:

يتناول هذا المقال فحوى رحلة استكشافية، تستعرض كيف يعكس الأدب الجزائري المعاصر التغيرات الثقافية وتنوعها، ويسلط الضوء على تشكيلات الهوية المتنوعة والصراعات الداخلية من خلال دراسة تحليلية لرواية "ساقذف نفسي أمامك" للكاتبة الجزائرية ديهيية لويز. إذ تُعد هذه الرواية نموذجًا تحليليًا قيمًا، نظرًا لما تتضمنه من دلالات ورموز متعددة. ونظرًا لعدم وجود قانون محدد في استكشاف الأنماط الثقافية، سنحاول الاستعانة بمفاهيم النقد الثقافي لفهم وتحليل التعقيدات الثقافية لفنون الأدب الجزائري المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الأنساق المضمره، النقد الثقافي، رواية "ساقذف نفسي أمامك"، النسق الذكوري، الهوية.

Abstract

This article delves into an exploratory journey that examines how contemporary Algerian literature reflects cultural changes and diversity. It highlights the formation of varied identities and internal conflicts through an analytical study of the novel "I Will Throw Myself Before You" by Algerian author Dihya Louiz. This novel serves as a valuable analytical model due to its rich array of symbols and meanings. Given the absence of a specific law in exploring cultural patterns, this study will employ cultural criticism concepts to understand and analyze the cultural complexities of contemporary Algerian literary arts.

Keywords: Implicit Schemas, Cultural Criticism, "I Will Throw Myself Before You". Novel, Male-Dominated Pattern, Identity.

1. مقدمة :

إن تطور النظريات النقدية المعاصرة بشكل جذري، أدى إلى انتقال الاهتمام من قراءة النصوص الإبداعية إلى فهم الأنساق الثقافية المحيطة بها. فلم يُعدّ النص بحد ذاته هو المركز، بل أصبحت الانتباهات تتجه نحو الأنساق الثقافية، التي يندرج ضمنها النص بأشكاله وتفصيله. هذا الاتجاه دفع النقد الثقافي إلى نبذ أي محاولة لتقييد دور الناقد ضمن إطار أدبي محدد.

هذا وقد شهدت الرواية الجزائرية تطوراً ملحوظاً تحت مظلة الممارسات الحديثة للنقد الثقافي، ما أضاف طبقات جديدة من الفهم والتفسير. هذا التطور جعل الرواية الجزائرية، تحمل أهمية كبيرة في تقديم رؤى ترتبط بالزمان، وتخرق النسيج الاجتماعي لتكشف عن قضايا إنسانية بارزة. لذا، اخترنا رواية "سأقذف نفسي أمامك" للكاتبة ديهية لويز كنموذج للدراسة، ونحاول استكشاف هذا الخطاب واستنطاق عمقه، مُحاولين فهمه كحدث ثقافي فني، يهدف إلى فتح نافذة على الجغرافيا الروائية، وكشف أبعادها الخفية.

إنه وتأسيساً على هذه الشرفة، سنحاول الغوص في رحاب النقد الثقافي وأنساقه المضمرة، مع التركيز على تطبيقها في رواية جزائرية بارزة، وهي رواية "سأقذف نفسي أمامك" للمبدعة الجزائرية ديهية لويز. حرك الباحث صوب ذلك جملة من التساؤلات تناسلت على النحو الآتي:

- ما المقصود بالنقد الثقافي؟

- وهل هو نشاط أم منهج؟

- وما هي الصور المختلفة للأنساق الثقافية التي تختبئ وراء أحداث رواية "سأقذف نفسي أمامك"؟

- وكيف يمكن استشرافها وتحليلها داخل سياق العمل الروائي؟

ولأن استكشاف الأنساق الثقافية، لا يتبع نهجاً محدداً، اعتمدت هذه الورقة البحثية على مقاربات النقد الثقافي كنشاط نقدي متعدد الأوجه يرفض الانطواء تحت أي منهج.

هذا ولما كان الهدف من وراء هذه الدراسة إبراز معاناة المرأة الجزائرية في مجتمعها المعاصر، من خلال الكشف عن مجموعة من الأنساق المضمرة التي تتحكم في حياة المرأة الجزائرية، والتي استطاعت الكاتبة بأسلوب متميز، يمزج بين السرد والتحليل أن تعرضها للقراء ببراعة.

2. ملخص الرواية:

"ديهية لويز" هي روائية، تتمتع بمقومات الكاتبة الروائي المحترف، وتتطرق إلى موضوع صادم ومثير للجدل وهو "زنا المحارم". حيث تقترب الرواية من الجوانب الوعرة في القيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي.

مريم، ابنة في التاسعة عشرة من عمرها، تبدأ رحلتها مع الحياة من خلال القبله الأولى التي غيرت حياتها تمامًا. بعد أكثر من اثني عشر عامًا، تقرر مريم أن تروي قصتها بكل صدق ووضوح، رغم صعوبة تجربة التعري على الورق. حيث تكشف الرواية عن حياة أسرة معقدة، تتألف من والدين مضطربين، وابنة تعاني من تجارب قاسية. يأتي نسيم، شقيق مريم، كضحية للعنف والتعاسة في حياتهم. تتبع الرواية قصة محزنة حول حياة مريم التي تعاني، وتتصارع مع واقع مريم.

"سأكذف نفسي أمامك" تروي قصة حب مستحيلة خلال الربيع الأمازيغي، من خلال علاقة بين مريم وعمر، المناضل الذي يصاب بجرح قاتل في رأسه. مريم تحاول بجديّة الشفاء والبحث عن الأمل في وجهها الصعب. تتصاعد الأحداث في الرواية حتى تكشف مريم حقيقة صادمة عن أصلها وعلاقتها بوالديها. تنتهي الرواية بمأساة نفسية للبطله وبحثها عن معنى للحياة في ظل الصدمات التي تعاني منها. في نهاية المطاف، تجد مريم نفسها في مفترق طرق، تبحث خلاله عن معنى جديد للحياة، ويتعين عليها التصدي للتحديات والصراعات التي تواجهها في سبيل البحث عن السعادة والسلام الداخلي.

3. تحديد المفاهيم بين النظرية والإجراء:

إذا كانت المناهج النقدية تعتبر الأدب ظاهرة لسانية تازة، وظاهرة جمالية تازة أخرى، فقد صار ضروريا الانتقال إلى بديل نقدي منهجي جديد، يهتم بالممارسات الخطابية في معناها التاريخي والاجتماعي والثقافي، وتكشف كنه العمل الأدبي وما يضمه في أحشائه.

وكان من أبرز المستجدات ظهور استراتيجيات جديدة على الساحة النقدية العالمية على غرار إستراتيجية التفكير ونظرية التلقي، والدراسات الثقافية والنقد الثقافي. هذا الأخير الذي اعتبر فعالية نقدية، ضمت العديد من الممارسات والأنشطة المعرفية. ومن هنا كان لزاما الوقوف عند دلالاته الاصطلاحية وكذا أهم مرتكزاته.

1.3 تعريف النقد الثقافي:

لقد واجه مفهوم النقد الثقافي إشكالات عديدة ومختلفة الناجمة عن تظهريه في أشكال متنوعة، الشيء الذي لا يسمح بتقديم قاسم مشترك، يجمع بينها جميعا سواء من ناحية المفهوم، الذي يعد الإشكال الأساسي نتيجة غياب دقة المفهوم، وتقديم تعريف اصطلاحى موحد والحدود الواضحة للتخصص المعرفي، وبين ما يرتبط بإضافته صفة الموصوف المنهجي. ومن هنا نقف في هذه الجزئية عند جملة من المفاهيم والمقولات المرتبطة بهذا الطرح النقدي.

ونجد من بين المفاهيم الأساسية المتداولة للنقد الثقافي: "أنه نشاط نقدي يشتغل على كشف الأنساق الثقافية المضمره داخل الخطابات الأدبية شعرا ونثرا، والخطابات غير الأدبية مثل الأغنية والصورة والإشهار واللوحه،

وأسلوب الحياة اليومية، والثقافات الفرعية، والأزياء والموسيقى وغيرها، حيث يقول بعض النقاد: أنه مفهوم واسع ففاض، وليس من السهولة الممكنة حصره في تعريف دقيق، كونه يهتم بدراسة "مفهوم الثقافة"، الذي بدوره يتصف بالشمولية والاتساع... (بوحالة، 2021، الصفحات 30-31)

هذا وقد عدّه الناقد فنست ليتش V.B. Leitch باعتباره أحد المبشرين به في النقد الغربي "مجالاتاً نقدياً مرادفاً لمفهومي ما بعد البنيوية، فهو يقر بأن النقد الثقافي قد سعى في أبرز محطاته إلى الكشف والوقوف عند مفهوم وتعريف الثقافة، وتحديدها" (العقيلي، 2014-2015، صفحة 39).

في حين يعتبر آرثر إيزابجر A. Isabeger النقد الثقافي "ليس مجرد مجال معرفي متخصص، بل هو نشاط شامل يتضمن مهام متنوعة ومتداخلة. يأتي نقاد الثقافة الذين ينتمون إلى خلفيات متنوعة، ويعتمدون على أفكار ومفاهيم متعددة في تحليلاتهم.

يتداخل النقد الثقافي مع مجموعة متنوعة من التخصصات والمجالات، بما في ذلك نظرية الأدب والجمال والنقد الفني، إلى جانب ذلك التفكير الفلسفي وتحليل وسائل الإعلام ونقد الثقافة الشعبية، كما يتيح النقد الثقافي إمكانية تناول نظريات مثل السيميائية، التحليل النفسي، الماركسية، والاجتماعية والأنثروبولوجية، فضلاً عن دراسات الاتصال والبحث في مختلف وسائل الإعلام وغيرها من الوسائط المتعددة (إيزابجر، 2003، صفحة 31). بهذه الطريقة، يُظهر بيرجر رؤيته الشاملة والشاملة للنقد الثقافي كنشاط متعدد المجالات والمفاهيم، حيث يتقاطع ويتداخل العديد من التخصصات والمناهج في إطار هذا النشاط الحيوي .

أما في العالم العربي فقد تميز النقد الثقافي بطروحاته المبتكرة والتميز، ولعل من أبرز النقاد الذين تناولوا هذا الموضوع بجديّة الناقد السعودي عبد الله الغدّامي في كتابه الموسوم بـ "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" وذلك عام 2000 م. فقد قام بتبني فكرة النقد الثقافي على يد الفيلسوف ليتش.

سلط الغدّامي في كتابه الضوء بشكل رئيسي على موضوع النقد الثقافي كفرع من فروع النقد النصوي، معتبراً إياه علم اللسانيات أو الألسنية. حيث يهتم هذا النوع من النقد بقراءة الأنساق الثقافية المخاتلة في الخطاب الثقافي بمختلف أنماطه وأشكاله (الغدّامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 83).

باختصار، يمكن القول إن النقد الثقافي يسعى إلى فهم وتقييم الرموز والرموز الثقافية التي يتضمنها الخطاب الثقافي، مما يسهم في فهم عميق وشامل للثقافة والتاريخ والهوية الوطنية- أي أنه ينطلق من النص إلى السياق الخارجي أي نحو الثقافة والمجتمع، ولهذا فقد عدّه الغدّامي من صميم النقد النصوي، وأول ما يقوم به الناقد

الثقافي هو: القراءة اللغوية، وفك البنى الجمالية؛ ليكشف بعد ذلك عن المضمرة التي تختبئ وراء القناع اللغوي الجمالي، وهي في الحقيقة وجه من أوجه الثقافة التي أنتج في خضمها النص الأدبي.

ومن خلال ما سبق ذكره من تعريفات، يمكن القول: أن النقد الثقافي هو نشاط نقدي فضفاض واسع، لا يملك منهجا عمليا واضحا ودقيقا، فالقول: بأنه نشاط يستدعي القول بالتحري من القيود التي تفرضها المفاهيم الدقيقة. فهو نشاط قرائني، وليس مجالا معرفيا مستقلا بذاته، فقد انسحب على مجموعة من الخطابات منها: الأدبية والفنية والإشهارية والإعلامية والثقافة الشعبية وحتى الحياة اليومية.

وعليه فإن النقد الثقافي يدرس الفن والأدب الجمالي كظاهرة ثقافية ضمنية، أي أنه يربط الأدب بخلفيته الثقافية غير المكشوف عنها. ولذلك فإن النقد الثقافي لا ينظر إلى النصوص والخطابات الجمالية والفنية باعتبارها رموزا جمالية واستعارات شكلية موحية، بل باعتبارها أنماطا ثقافية ضمنية تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية.

2.3 الإطار المفاهيمي للنسق الثقافي:

1. النسق من منظور لغوي:

تختلف التعريفات اللغوية لمصطلح النسق، حيث ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي إن: "النسقُ من الشيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقتهُ نسقا، و سقتهُ تسيقا، ونقول اننسقتُ هذه الأشياء ببعضها إلى بعض أي تنسقتُ" (الفراهيدي، د ت، صفحة 82). استناداً إلى ما سبق، يمكن تلخيص مفهوم النسق لغويا بأنه يشير إلى ترتيب أو تنظيم شيء ضمن مجموعة أو ضمه إلى غيره.

2. التعريف الاصطلاحي للنسق:

تنوعت التعاريف التي تشير لمفهوم النسق، ولكن معظمها يتعلق بالبنية والبنوية، فنجد أهمها ما جاءت به يبنى العيد، التي تعتبر أن مفهوم النسق يلعب دورا حاسما في فهمنا للبنية بشكل عام. وتشدد على أن النسق لا يتمثل فقط في العناصر المكونة للبنية، بل هو نتيجة ترابط العناصر وتنظيمها في حركة متكاملة (العيد، 1983، صفحة 32). على سبيل المثال، يمكن النظر إلى العناصر خارج البنية كأجزاء منفصلة، تخلو من صلة ببعضها البعض، بينما يتم النظر إلى العناصر داخل البنية كأجزاء مترابطة، تعمل سويا، وتؤثر بشكل مباشر على بعضها البعض .

في هذا السياق، يمكن اعتبار البنية كتكوين متكامل، يتسم بالتناغم الداخلي بين جميع العناصر التي تشكله. فالعنصر الواحد داخل البنية، يعتبر جزءا من نظام يعتمد على تفاعله، وتأثيره على باقي العناصر الأخرى.

3. النسق الثقافي:

بانطلاق مشروع النقد الثقافي في ثمانينات القرن الماضي، وتجاوز الحركة النقدية إلى ما بعد الحداثة، بدأ النقد في تجاوز النص الأدبي والغوص فيما وراءه من عقلية أنتجته، وأصبح النظر إلى النصوص على أنها واقعة ثقافية، تتضمن شفرات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة، ولكنها ليست الثقافة بمعناها التقليدي كمجموعة من المعارف التي يكتسبها الإنسان. بل هي الثقافة التي تعكس رؤية الإنسان تجاه الحياة والمكان والزمان (المرازيق، مفاتيح جديدة في قراءة النصوص الشعرية، 1442هـ/ 2021م، صفحة 220)، وهي بهذا المعنى ترتبط بسلوك الفرد وحياته ضمن مجتمعه .

فالنقد الثقافي يشتغل على اكتشاف النسق المضمّر في النص أو الخطاب، والقيم الثقافية التي امتصها، ويُعد النسق الثقافي حسب رأي أحمد جمال المرزوق بمثابة رؤية أو موقف أو ثقافة أو نقد أو رفض، حيث يعكس طبيعة التفكير التي تتجذر في خلفيات اجتماعية أو دينية أو معرفية. هذا النسق غالباً ما يكون مخفياً خلف ظاهر اللغة، ويقوم القارئ بكشفه من خلال التأويل الدقيق (المرزوق، تشريح النسق الثقافي مفهوماً وإجراءً، 2020). والمقصود من كل ذلك: أن النص أو الخطاب، يحمل بين طياته نسقين، أحدهما ظاهر يتقنع بصفة الجمالي لتمرير نفسه، وآخر مضمّر يتستر خلف عباءة البلاغي / الجمالي. ومن هنا أخذ النسق الثقافي مركزاً مهماً، وفرض نفسه على فكر القارئ؛ لكونه قيماً، تختبئ خلف تشفير لغوي وجمالي، ونسقا ينقض المعلن، ويتستر دائماً بالجماليات.

كما يعرض أيضاً عبد الله الغدامي تعريفاً في مشروعه النقدي الأنساق الثقافية من خلال تحديد وظيفته، إذ يرى أن النسق الثقافي، يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد. وبالتالي، يمكن للنسق الثقافي أن يظهر بوضوح في سياق معين، وفي إطار محدد، وقد يحدث تعارض بين نسقين أو نظامين من أنظمة الخطاب، حيث يكون أحدهما واضحاً، بينما يبقى الآخر مخفياً. وفي بعض الأحيان، قد يتناقض النسق المضمّر مع النسق الظاهر أو حتى يلغي تأثيره. هذه التناقضات والتباينات تسلط الضوء على مدى تعقيد وعمق النسق الثقافي.

ولكنه يشترط في ذلك أن يكون النص ذا جمالية فائقة، يعكس ذوق الرعية الثقافية واختياراتها الجمالية. وأن يكون النص جماهيرياً أيضاً (الغدامي، النقد الثقافي- دراسة في الأنساق الثقافية العربية ، صفحة 77). بمعنى أنه يتماشى مع توقعات واحتياجات الجمهور المستهدف. يمكن للجمالي والجماهيري أن يتضمنا أوجهاً مختلفة، ولكن الهدف النهائي، هو خلق توازن بين الفن والحاجة، بين التعقيد والوضوح. كما وضح طبيعة هذه الأنساق الثقافية بأنها أنساق تاريخية راسخة لدى الجمهور، والتي قد تظهر في الأغاني أو الأزياء، الحكايات والأمثال، وكذلك في

الإشاعات والنكات؛ فكل هذه الوسائل، من وجهة نظره، هي مجرد أساليب جمالية؛ بلاغية تعكس في مضمونها النسق الثقافي. (الغذامي، النقد الثقافي - دراسة في الأنساق الثقافية العربية، صفحة 77).

لنا مما تناولناه أن النسق الثقافي يتكون من مجموعة من العناصر التي تشمل الأخلاق، العقائد، وجميع العادات التي توحد أفراد المجتمع. وبذلك، فالنسق الثقافي هو تركيب يجمع بين مفهوم النسق ومفهوم الثقافة،

4. الأنساق المضمره في رواية " ساقذف نفسي أمامك " لديهيّة لوزير:

1.4 النسق الذكوري:

تُعَدّ المركزية الذكورية ركيزة أساسية في تشكيل الوعي الإنساني عبر العصور، حيث تم وضع الأنثى في موضع هامشي ضمن المجتمع. هذا الوضع هو نتاج ميراث طويل، يعود إلى بدايات الحضارات الأولى، إذ استمدت هذه المركزية قوتها وعمقها من تلك الجذور القديمة، التي تغلغت في الوعي الجمعي. ونتيجة لذلك، تم تفضيل الذكر وكل ما يرتبط به، مما أدى إلى تهيمش وتقليل قيمة كل ما هو أنثوي.

تعالج هذه المدونة ظاهرة اجتماعية حساسة جداً، تعد واحدة من الطابوهات الاجتماعية الأكثر تفسياً في العالم العربيّ في وقتنا الحالي، وهي ظاهرة التحرش الجنسي، وزنا المحارم، والذي يفترض أن يكون أمراً منافياً للتقاليد والأعراف، وواحداً من الحواجز الاجتماعية. وإذا ذهبنا إلى مفهوم التحرش الجنسي نجد أنه: "هو مبادرة بالفعل أو بالقول لأي غرض جنسي بالإكراه على الطرف الآخر، حيث أن المعتدي يعتبر جسد المعتدى عليه مباحا يستطيع السيطرة عليه والتمتع به وذلك باستخدام القوة من خلال هذه التجربة يشعر المعتدى عليه بالذل والإهانة والتحقير" (سمية، 2020 / 2021، صفحة 26)، ومن هذا التعريف نجد الدوال: (الإكراه/ المعتدي/ السيطرة/ استخدام القوة) كلها مصطلحات تدل على التسلط والعنف والقوة.

لم ترتبط ظاهرة اجتماعية في رواية ديهيّة لوزير "ساقذف نفسي أمامك"، مثلما ارتبطت ظاهرة الذكورة المستعلية دائماً، هذا النسق الذكوري، يتجلى في الواقع ويعكس الصراعات المجتمعية، حيث يثير الجدل حول العديد من القضايا والظواهر. وربما تعود كثرة المطالبات بإنصاف دور المرأة إلى تصاعد الهيمنة الذكورية بشكل ملحوظ، مما جعل هذه المطالبات أمراً ضرورياً وحتمياً في مواجهة هذه السيطرة المتزايدة.

تحَدّدت في هذه الرواية مواطن التسلط والضياع والاجتثاث في معاناة (مريم) كثيراً من سلوك والدها العدوانية وغروره، حيث فشل في تقدير مكانته كأب، ولم يبدي أي احترام تجاه والدتها التي كانت تصبر على إساءته بصمت. وكان من المفترض أن يوفر لها بيئة آمنة مليئة بالثقة والدفء، إلا أن (مريم) وجدت في والدها النقيض تماماً،

تقول: "تحول إلى رجل غريب بالنسبة لي، رجل تحركه الغريزة فلم يبق له من الإدراك ما يميز به من أكون.. كانت عيناه ناعستين يفتحهما بصعوبة، يرمقني بنظرات مخيفة"(لويز، 2013، صفحة 18).

ونجد في حوار مباشر يوضح قسوة الأب وجبروته على زوجته: "قبل أن تتم أُمي كلمتها الأخيرة، انهال عليها أبي بالضرب وصوت الكدمات على جسدها يصلني إلى غرفتي. حرام عليك يا واحد "الحقار..."

وكلما ازداد صوت أُمي أما، ازدادت متعته في ضربها"(لويز، 2013، صفحة 10).

فالزوجة تقوم بتنفيذ الأوامر الموجهة لها دون إعطائها فرصة للتعبير عن رأيها، تبقى صامته رغم كل ما يمارس عليها من عنف وقهر. ويؤكد هذا الضعف أمام هيمنة الذكورة ما قالتها (مريم)، في توضيح موقف والدتها تجاه والدها، وكيف كانت تستجيب لعنفه بصمت واستسلام، مما يعكس خضوعها لسلطته وعدم قدرتها على مواجهته: "فأنا اعرف أُمي كلما ضاق بها منزلها تلجأ إلى بيت خالي حامد وجدتي وردية، تفرغ ما في جعبتها من هموم وتعود بعد يومين أو ثلاثة"(لويز، 2013، صفحة 12)، يعكس هذا المقطع السردى بوضوح ضعف الزوجة وخوفها من مواجهة زوجها بحقيقته القاسية، أو ربما إدراكها أن المجتمع لن يعفو عنها، إذا قررت الخروج من ظل الرجل. فالمرأة في هذا السياق، لا تعيش لنفسها أو بقدراتها الذاتية، بل وجودها مرتبط بالرجل؛ ومن أجله تعاني الزوجة من حياة مليئة بالعنف، الاحتقار، والتجاهل، دون أن تبدي أي اعتراض أو مقاومة، وربما يعود ذلك إلى أن المجتمع قد غرس فيها منذ الصغر فكرة ضعف المرأة، وسيطرة الرجل واستعلائه عليها، مما دفعها للاستسلام لهذا الواقع المرير.

وتبدأ المأساة الحقيقية لمريم في ليلة قلبت حياتها رأساً على عقب، ساعدت فيها والدها حين عاد في منتصف الليل وهو مخمور، تحملت مسؤوليته رغم حالته دون أن تجد خياراً آخر، سوى تقديم الدعم في تلك اللحظة الصعبة، تقول: "أمسكت بذراعه وأتأكد علي ليقف أخيراً على قدميه، لكنّه تمايل وأخذني معه، ليلتصق ظهري بالجدار وجسده يقارب جسدي... أنتظر أن يبتعد عني، لكن بدل ذلك ترك ذراعه تحيط بخصري بهدوء، قبل أن يجذبني إليه بقوة تكاد تكسر عظامي، ووضع شفثيه على فمي ورائحته تخنقني..."(لويز، 2013، الصفحات 08-09)، هذا التصرف غير الأخلاقي، جعل مريم تصاب بالذهول والذعر، وتركها ضائعة أمام أفكارها المشتتة.

لم تتوقف الحادثة عند حدود القبلية، بل تصاعدت الأمور في اليوم التالي إلى ما هو أبعد من ذلك، مستغلاً غياب أمها عن المنزل، حيث حاول الاعتداء عليها بشكل عنيف وشديد: "دفعني بكل قوته لأرتمي على السرير الذي يفوح منه عطر أُمي... ارتمى بجسده الضخم علي، يدها كانتا تنتشلان ثيابي بالعنف نفسه، وأنا أحاول أن

أبعده بكل قوتي، لكن جسدي النحيل لا يسعفني" (لوزير، 2013، صفحة 22). من خلال هذا المقطع يتضح لنا بروز ثنائية متناقضة تجمع بين المعتدي والمعتدى عليه، هنا، تظهر سلطة الأب بشكل صارخ، حيث تستبعد تماماً القيم الإنسانية، مما يترك (مريم) في موقع الضعف، مضطرة للصمت والخضوع تحت وطأة هذه السلطة الجائرة.

لقد برز الفعل الذكوري التام (الجنسي) في الرواية بشكل كامل، جعل من الرجل صنفا مرتبنا بخصيصة جسدية مارس تسلطا واضحا، كما مارس فعله باستعراض واحتفاء، وينطلق من حاضنة متعالية، تمجد الفعل الذكوري وتحققي به، أما ردود أفعال الذات الأنثوية فقد كانت بين الاستسلام والصمت.

2.4 نسق الذات (البحث عن الهوية):

لا يمكن اختزال مفهوم الذات في تعريف واحد، لأنه يختلف بحسب المجال الذي يُستخدم فيه، وذلك بسبب الاختلافات بين الباحثين وتباين توجهاتهم الفكرية ومرجعياتهم. يظهر مفهوم الذات في مجموعة من المجالات مثل الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، الأدب، والنقد بأنواعه، بما في ذلك النقد النسوي. في هذا السياق، يُفهم مصطلح الذات (subject) كفكرة تتداخل مع مفهوم الفرد الذي يشعر بوحدة شخصيته، ويُعتبر مصدراً للأفعال الواعية. هذا الإحساس بالذات يُعد محورياً مهماً في الخطاب النفسي، حيث يسلط الضوء على الفرد كفاعل واعٍ ومتكامل. (مارشال، 2010، صفحة 110).

فالذات في علم النفس تعني الأنا (égo) أي الجانب الشعوري للنفس، حيث تتكون الشخصية الإنسانية من الأنا/الذات. فالنفس البشرية هي (الأنا) والأنا هي الذات (subject) وما تعبر عنه من المظاهر والخصائص الثقافية والنفسية والإيديولوجية التي تميز كل فرد عن الآخر. وما تحمله أيضا في طياتها من الأفكار والآمال والطموحات والتوترات، التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان. وبالتالي تمثل الذات مركز الشعور عند الإنسان (الذويخ، 2009، صفحة 09).

والملاحظ لهذا النسق (أي نسق الذات) يكاد يكون الوجه الأبرز والسائد لنموذج الشخصية الرئيسة خاصة في الفصل الأول من الرواية، لعل هذا ما يفتح قوس البحث عن الهوية ولا يغلقه. فالكاتبة تصطنع في روايتها صورة واقعية لمنطقة يغلب عليها الصراع والتوتر، حيث تعكس تفاصيل حياة سكانها ومشاكلهم بكل دقة وواقعية، تتطرق فيه من أسئلة منبعها الذات.

وهو ما تعرضه الكاتبة من خلال (مريم) التي ترشدنا عبر سلسلة من الأسئلة المترابطة، تبحث لها عن

ملاحم وقوالب تشكل من خلالها قهرا وحيرة، حيث تقول :

" ما جدوى البقاء في حياة ليست لنا أية سلطة عليها؟"

لماذا نتمسك بكل هذا الخراب الذي يستوطن بداخلنا أعواما طويلة، ويتراكم مع كل يوم يمضي.

- كيف أفسر علاقتي بالوجود؟ هذا إن كنت موجودة أصلا!

طبعاً.. ما معنى وجود بلا معنى؟ وجودا وكفى؟ ألا يساوي هذا الوجود نهاية العدم؟" (لويز، 2013، صفحة 05)

جميع هذه الأسئلة هي أسئلة حول الوجود، بل هي سؤال عن الهوية. سرعان ما يفلت هذا السؤال من قبضة الفرد وينتقل إلى مستوى الوطن أو المجتمع، الذي يعتبر العنوان العام الذي يتحتم علينا الالتزام به أو التكيف معه. وفي هذا السياق، تقول الروائية في جزء آخر من السرد: "...بل في الحياة، إن تمكنت من عبْر هذا المتنفس الجديد الذي اكتشفته للتو (ألا وهو الكتابة)، من حل هذا اللغز المحير لمعضلة وجودي، أو بالأحرى إثبات هذا الوجود بأية طريقة" (لويز، 2013، صفحة 05). وهو أيضاً سؤال هوية داخلية مشوشة ومرتبعة من الأماكن المظلمة التي تحتضن فيها عقدة الصراع وحله، وتعكس الحقيقة والخداع في آن واحد

تعيش الساردة (مريم) حالة من التخبط في مواجهة الأسئلة التي تثير حيرتها، إذ تختبئ الكاتبة خلف شخصية (مريم) في رحلة استكشاف وبحث عن ذاتها، ربما لإتقاء شبهة الاعتراف كما يطلق عليها " عبد الله إبراهيم" الذي يرى أن في الاعتراف وكشف المستور سلوك غير مقبول عند الجمهور وإفراط في فضح المجهول (إبراهيم، 2011، صفحة 05)، أو ربما يكون الأمر من وراء ذلك التستر أكبر من هذا وأخطرا، فالتصريح بمثل تلك الأسئلة قد يجعلها محاطة بالخطر خاصة حديثها عن الوطن، فجعلت الكتابة المنفذ الوحيد لتعبر عما يختلج صدرها بلسان مريم المتكلمة البطلة المعاشية لمواقع وطنها وسطوة قيمه وقمعه.

فما حصل في قضية الربيع الأمازيغي (أفريل 2001)، الذي شغل الجزائري في مرحلة معينة، وما شهده من قمع، جعل الروائية تدخل في دوامة البحث عن الذات، ذاتٍ تائهة بين معالم الخراب والفوضى تنادي بحرية الرأي والانتماء في بلد يدعي الديمقراطية. ذاتٍ رسم الحزن والكآبة على كل صفحاتها، جعل منها جسدا بلا روح أو غرفة واسعة مؤثثة بأرفف فارغة .

3.4 نسق الهيمنة السلطوية:

يرتبط مفهوم السلطة في مجال النقد الثقافي، بما قدمه ميشيل فوكو Michel Foucault وإدوارد سعيد، كما تم استخدامه أيضا في علم الاجتماع وبالفلسفة السياسية حيث يشير إلى الاستخدام الشرعي للقوة، لذلك فإن أي شخص حر ومسؤول عن أعماله يخضع بإرادته، أو يطيع أوامر شخص آخر، يعتقد أنه من أصحاب السلطة، وإطاعة السلطة أمر، لا يفرض بالإجبار أو التهديد بالعنف. (بوحالة، 2021، صفحة 60)

السلطة بمعناها الواسع هي شكل من أشكال القوة، حيث تُعتبر وسيلة يمكن من خلالها للشخص، أن يؤثر على سلوك الآخرين. ومع ذلك، تختلف السلطة عن القوة، في أن القوة تحقق الإذعان من خلال القدرة على الإقناع، التهديد، أو العنف، بينما يمكن تعريف السلطة على أنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين.

وقد قدم ميشال فوكو mechel foucoult نظرة جديدة وتفسيرا مغايرا للسلطة، حيث يرى السلطة ليست فقط الجهاز الحاكم الذي يتولى القيادة السياسية ويسمى الدولة، بل هي تتجسد في العلاقات الاجتماعية المترابطة في كل أنحاء المجتمع والتي تتجلى في مؤسساته وخلاياه، ويمارس فعلها بأشكال متعددة (أباه، 2004، صفحة 187). فما يهمننا في علاقة نسق السلطة بالنقد الثقافي، هو كيفية تحولها داخل الرواية إلى أنساق وتمثيلات رمزية وثقافية، واختزانها من خلف التشفير اللغوي والجمالي.

نظرا للمواجهة التي تعرضت لها الروائية، فقد استطاعت أن تستغل اللغة الروائية الإبداعية لتتوارى خلفها، وتحمل شخصياتها مهمة البوح بما تريد دون أن تعرض نفسها للمواجهة المباشرة مع الآخر. حيث تمثل رواية "ساقذف نفسي أمامك" إحدى النماذج القليلة التي عالجت مرحلة حساسة من حياة المجتمع الجزائري التي تضرب في بعد من أبعاد الهوية الجزائرية وهو البعد الأمازيغي.

فتعالج الرواية أحداث الربيع الأمازيغي، وتصور واقع المجتمع الجزائري آنذاك ضمن نسق ثقافي ومعرفي ولغوي ووجودي، وتروي ما وقع في منطقة القبائل في أبريل 2001. فنجد "مريم" البطلة تبني قصتها على تيمة واحدة هي: الربيع.

"ربيع أسود مظلم حَجَب الموت والدم نوره" من كان ليعرف في ربيع 2001 أن الأحلام لا تتحقق؟ أن الموت قريب كل هذا القرب إلى حد ألا نعرف الحي فينا من الميت؟" (لوزير، 2013، صفحة 52)

وتقول أيضا: "في ذلك الربيع الذي بدأ أسود ورفض أن ينتهي في أوانه، كما نخاف أن تشرق الشمس في اليوم الموالي، لا نترقب سوى الغروب، أن تغرب مع الشمس لحظات الألم التي دامت طويلا... (لوزير، 2013، صفحة 58)

ربيع خيبة وانكسارٍ "كيف يمكن للربيع أن يغيّر من حلتّه هكذا، ويتحول من أجمل الفصول إلى بركان مدمر لا يخلف وراءه سوى الرماد؟ أن يتغير من ظاهرة طبيعية إلى ظاهرة بشرية بأسوأ كوارثها الممكنة؟" (لوزير، 2013، الصفحات 52-53)

تُعدّ في الرواية تيمة الربيع المتكررة تعبيراً حياً عن المعاناة الواقعية، التي مرت بها منطقة القبائل الأمازيغية في الجزائر. لقد سردت الروائية هذه التجربة، التي تستمد جذورها من حياتها الشخصية، بتفصيل ومرارة ملحوظة، مما يعكس عمق الألم الذي واجهته.

كما تروي الكاتبة حيثيات تلك اللحظات التاريخية بقلم جريء؛ لتجسد رغبتها في معايشة الحدث والمساهمة في صناعة التاريخ والكشف عن أساليب السياسة القمعية التي عرفتها المرحلة، حيث تقول في مقطع سردي: "ذلك الربيع الذي بدأت فيه معالم الخراب والفوضى تجتاح المنطقة، والموت المجاني يطارد كل من تسوّل له نفسه بطلب حقّه في الكرامة والحرية..." (لويز، 2013، صفحة 58) هكذا تكشف الروائية عن سياسة الترهيب التي تعمدتها الدولة لقمع المتظاهرين الذين ينادون بحرية الرأي والاعتراف بالهوية والانتماء.

نجد أيضاً في رواية (ديهية لويز) إدانة قوية وعذنية لذلك الانتقام الوحشي الذي نفذه أفراد النظام بحق الشباب الأمازيغي، مما أدى إلى تصاعد الاحتجاجات وتنامي حركة الاحتجاج ضد سياسات النظام القمعية.، فقد كشفت الرواية الطرق الدنيئة التي تم اللجوء إليها لقمع المتظاهرين، بما في ذلك التعذيب والقتل والاعتقال لأفراد الوطن مثل (عمر) الحبيب والزوج والثائر "كان عمر وحده... يقول: إن في هذا الوطن لا يحدث شيء بالصدفة، هناك دائما من يقف وراء الأحداث، هناك من يصنعها للوصول إلى هدفه مهما كانت الوسائل والطرق..." (لويز، 2013، صفحة 53)، "ها هو الوطن الذي كنت تؤمن به حدّ الهديان، يغدر به بطريقة بشعة ويرميّه أمام النفايات " (لويز، 2013، صفحة 119)

هكذا تكشف الكاتبة على مدار أحداث الرواية وتعدد شخصياتها أساليب النظام القمعي، الذي يستهدف كل محاولة للتعبير أو التحرر "قتلوه برصاصتين في الظهر مثل الجبناء، يخافون حتى مواجهة ضحيّتهم، لأنهم لا يملكون شيئاً ضده.. منذ قرنا الخروج من صمتنا العقيم الذي دام طويلاً..." (لويز، 2013، صفحة 49) هكذا تمرر الكاتبة رسالتها الخطيرة، وتشهرها في وجه النظام واصفة إياه بالجبن.

نلفي في الرواية خرقاً جريئاً لطأبو السياسة تكشف فيه الكاتبة واقعا آخر عن سلطة أخرى، تتخفى داخل السلطة العلي، التي تمثل الدولة لتمارس بطشها الشنيع. ويتجلى ذلك فيما حدث مع الشخصية (إيناس) صديقة البطلة (مريم) في مركز الدرك حيث يفترض أن يتم التحقيق معها بشكل قانوني ليكون التحقيق بشكل شخصي؛ بل قمعي وجنسي- إن صح التعبير- "كنت أتمزق من الألم والإهانة، جسدي لا يسعفني ليقاوم، أو يتحمّل عضوه الذي يتغلغل بداخلي بعنف، أو حتى جسده الضخم المرتمي عليّ.. كان الدم الذي ينزف مني، ويملأ الأرض، يخيفني أكثر (لويز، 2013، صفحة 78)."

نلاحظ كيف استطاعت الكاتبة الكشف بوعي عن حقيقة مفادها: أن خراب النظام في مجتمع ما، يفضي إلى خراب شامل، يمس كافة القضايا اجتماعية، كانت وأخلاقية وسياسية ودينية، مما ينعكس تأثيرها على أفراد الأمة جميعاً. فقد نجحت ديهيّة من خلال براعتها الكتابية، أن تنقل لنا واقعا نعيشه اليوم أيضاً، فما تشهده البلاد من فساد كانت بدايته فساد النظام، ولولا السياسة القمعية التي تسلط على كل ناطق بالحق؛ لوجدنا الآلاف من عمر وإيناس ضحايا نظام متدنٍ وفساد.

4. خاتمة:

بعد الجولة التي قضيناها في رحاب النقد الثقافي وأنساقه المضمرة، وبعد استكناه عوالم رواية "سأكذف نفسي أمامك"، التي تعد عملاً إبداعياً مميزاً مفعماً بالدلالات العميقة، التي لا تظهرها القراءة العابرة، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- الصراع الناتج عن التباين بين حقائق النص والواقع، بجانب أوهم المكاشفة، يجعل من (مريم)، بطلّة الرواية، تجسيدا لجزء من الجزائر الجريحة والمتأثرة بالربيع. تعكس مريم مصير الجزائر الذي يتطلع إلى مستقبل غير محدد المعالم، حيث يظل الواقع مشوشاً وغير واضح.
- تُعد رواية "سأكذف نفسي أمامك" للكاتبة الجزائرية ديهيّة لوزير مزيجاً غنياً من الأنساق الثقافية المتنوعة، والتي تتجلى من خلال أحداث الرواية وشخصياتها، ونستطيع رصد بعضاً من أهم هذه الصور على النحو التالي:
- يمكننا تصوير العلاقة بين الذات المبدعة وخطابها الإبداعي من خلال العلاقة بين الكاتبة وسارد عملها الفني (شخصية الراوي) وبقية الشخصيات التي يُبنى عليها السرد. فالذات الكاتبة هنا تُجسد صوت الوعي الجمعي الذي يستمد قوته من رصيد ثقافي مشترك ينتمي إلى المجتمع بأسره.
- كانت الكتابة بالنسبة للروائية أداة فكرية استخدمتها لمساءلة السلطة المسؤولة عن الخراب والدمار الذي لحق بالوطن، وللتقريب في أعماق الذات الأمازيغية، مكشفة كل مظاهر الزيف التي يعاني منها النظام. لكنها، في الوقت ذاته، عرضت صوراً مشوّهة للذات الأمازيغية، من خلال أحداث تتناول الانحلال الأخلاقي والاجتماعي، مثل أب سكير يغتصب ابنته وأم تعيش حياة مليئة بالانحرافات.
- إن الاتجاه الذكوري في الرواية يوضح حقيقة التمييز الذي خصّ المرأة بموقع دوني مقارنة بموقع الرجل، ولم يكن الأدب وحده منحاذا للفكرة الذكوري، وإنما حتى النقد تبعه في ذلك إلى الحد الذي دفع المرأة إلى أن تثور على هذه النزعة، وأول تجليات هذه الثورة في الأدب عموماً والرواية خصوصاً، هي منحها الأدوار الرئيسية، وجعلها البطل الأول في هذه العوالم.

- وتُعد هذه الرواية من الأعمال الأدبية الهامة التي تُساهم في فهم الواقع الاجتماعي والثقافي في الجزائر، وذلك من خلال طرحها للقضايا الاجتماعية والثقافية، التي يعاني منها المجتمع الجزائري بطريقة إبداعية مؤثرة.
 - تتجلى مظاهر انعكاس الواقع الجزائري في الرواية من خلال عدّة عناصر، منها :
 - المرأة: تُجسد بطلّة الرواية، "مريم"، معاناة المرأة الجزائرية في ظل مجتمع تقليدي يفرض عليها قيوداً اجتماعية صارمة، ويحد من حريتها في الاختيار والقرار، وتُظهر الرواية كيف تُكافح مريم ضد هذه القيود، وتسعى جاهدة لتحقيق ذاتها وكسر قيود العادات والتقاليد البالية.
 - العنف: تُصوّر الرواية واقع العنف في المجتمع الجزائري، سواء كان عنفاً أسرياً أو عنفاً سياسياً، فعلى سبيل المثال تُظهر الرواية كيف يتعرض "تسيم" أخو مريم للعنف من قبل والده، وكيف تُمارس الدولة العنف ضد المدنيين خلال أحداث الربيع الأمازيغي.
 - الفقر: تُسلط الرواية الضوء على مشكلة الفقر، التي يعاني منها شريحة واسعة من المجتمع الجزائري، وكيف تُؤثر هذه المشكلة على حياة الناس، وتُعيق تقدمهم.
 - من القضايا الثقافية التي عرضتها الكاتبة في ثنايا روايتها:
 - الهوية: تُناقش الرواية مسألة الهوية الثقافية للجزائريين، خاصةً في ظل الصراع بين الثقافة العربية والأمازيغية، وتُظهر الرواية: كيف تُعاني مريم من صراع داخلي حول هويتها، خاصةً بعد اكتشافها أنها ابنة غير شرعية لرجل أمازيغي.
 - التقاليد: تُقدم الرواية صورة عن بعض العادات والتقاليد الجزائرية، مثل عادة "الزواج العرفي" و"الختان"، وتُناقش الرواية تأثير هذه العادات والتقاليد على حياة الناس، خاصةً على النساء.
 - الدين: تُظهر الرواية دور الدين في المجتمع الجزائري، وكيف يُؤثر على سلوكيات الناس ومعتقداتهم.
- فهذه الرواية سلّطت الضوء على قضايا اجتماعية وثقافية مهمة، لم تُناقش بشكل كافٍ في الأدب العربي؛ أهمها صراع الهوية الأمازيغية في الجزائر.

5. قائمة المراجع:

1. المرزايق، أحمد جمال. (1442هـ/ 2021م). مفاتيح جديدة في قراءة النصوص الشعرية. مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 219-235.
2. المرزايق، أحمد جمال. (26 جوان، 2020). تشريح النسق الثقافي مفهوماً وإجراءً. تم الاسترداد من جريدة الرأي: <https://alrai.com/article/10542305>
3. ايزابجر، آرثر. (2003). النقد الثقافي- المفاهيم الأساسية (الإصدار 1). (: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
4. الفراهيدي، الخليل أحمد. (د ت). معجم العين. مصر: دار الهلال مصر.
5. أباه، السيد ولد. (2004). التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم.
6. برندا مارشال. (2010). تعليم ما بعد الحداثة (المتخيل والنظرية). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
7. لويز، ديهية. (2013). ساقذف نفسي أمامك. الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف.
8. الذويخ، سعد فهد. (2009). صورة الآخر في الشعر العربي. الأذن، أريد: عالم الكتاب.
9. بوحالة، طارق. (2021). أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر (الإصدار 1). الجزائر: دار ميم للنشر.
10. ظاهر سمية. (2020/ 2021). مناهج العيش لدى المراهقة المعتدي عليها جنسياً- دراسات حالات بمدينة بسكرة: جامعة بسكرة.
11. العقيلي، عبد الفاتح محمد. (2014- 2015). الثقافة والنقد الثقافي. منشورات مكتبة لسان العرب.
12. إبراهيم، عبد الله. (2011). السرد والاعتراف والهوية. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
13. الغدامي، عبد الله محمد. (2005). النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
14. العيد، يمني. (1983). في معرفة النص. لبنان: دار الآفاق الجديدة.